الأفكار Pan Arab
Issue No.1583 December-17-2012

لبنان

البير خوري

حزن في الأرض .. فرح في السماء

البطريرك هزيم في حضرة النور الكلي: أنا معكم وعقلي في مكان آخر

الرئيس سليمان يضع الوشاح الأكبر على نعش البطريرك الراحل هزيم

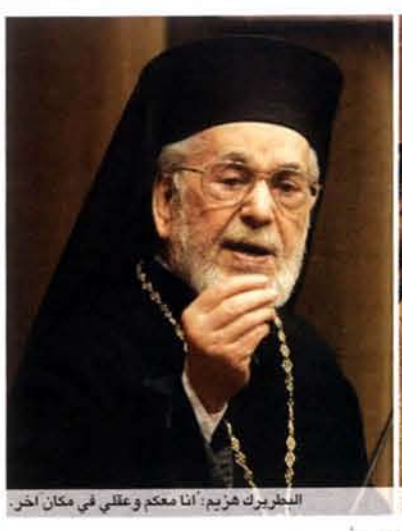
البطريرك هزيم: أنا معكم وعقلي في مكان آخر.

قلقه على المصير كان مرضاً دقيقاً وخطيراً يفتك به وبصحته!

حين تنكسر بكركي ينكسر الشرق كله!

كيف يكون الإنسان مسيحياً ولا يهتم بأخيه المسلم؟ الأنا المسيحي هو الآخر الى أي طائفة انتمى!

«لتفرح السماوات ولتبتهج الأرضيات»...

على وقع هذه الترنيمة الملائكية المشرقية، ميلاداً وقيامة، وما تفيض به من إيمان ومحبة ورجاء، عاش بطريرك انطاكية للكنيسة الأرثوذكسية اغناطيوس الرابع هزيم نيفاً وتسعة عقود على خطى السيد المسيح، في البشارة والجلجلة والتأمل والصلاة، رسولاً بين أمم الأرض، مشارقها ومغاربها، حاملاً في قلبه ابن الإنسان الذي «جاء ليخدم وليس ليُخدم»، والإنسان المعذب بلا تفضيل ولا تمييز بين لون وملة ومقام وموقع. جعل من هذا الآخر هذه «الأنا» الآتية على جحش «أتان»، و«أنا» المصلوب على أيدي الحكام والفريسيين تكفيراً عن خطايا هذا العالم، في مسعى لا يلين لدخول ملكوت السماوات.

واحد وتسعون عاماً أمضى غبطته ثلاثة أرباعها إن لم يكن كلها في غباطة الإنجيل وقداسته، منذ اللحظة الأولى التي أطلّ فيها على الضوء، حتى لحظة انتقاله الى النور الكلي في الخامس من الشهر الحالي، ظلّ المثلث الرحمات، بطريرك العرب المتواضع كالحمام، الحكيم كالحيات، الصامت حين يكون الصمت من ذهب، كما يوحنا الذهبي الفم، هادئاً وهادراً في الوقت نفسه، حامل هموم الأمة وانسانها في خريفه وشتائه وصيفه وربيعه، مستقيم الرأي في كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية، شكّلت في فلسفته ولاهوته وعلومه، وتستمر أبد الدهور المدافع الأول عن حرية الإنسان وحقوقه في التربية والتنشئة والتطلع الى عالم مثالي يسوده الازدهار والسلام.

في السيرة الشخصية

عرف البطريرك الراحل الكبير اغناطيوس الرابع هزيم، منذ بداية عهده في الدراسة على يد والده أسعد هزيم، وربما قبلها حين كان طفلاً، تحضنه والدته مريم لتغدق عليه وعلى أشقائه السبعة، ابنين وخمس بنات، ان الإنسان مهما شرّق أو غرّب يبقى ابن بيئته، ومهما بلغ العلوم، قديمها وحديثها، يستمر مشدوداً الى أرضه وعائلته وقومه ولغته.. وهذا ما أكدته سيرته الذاتية في كل المراحل التي عبرها والمواقع التي تولاها والأماكن التي تنقل فيها، طفلاً ومراهقاً وشاباً ويافعاً وشيخاً.

هي مراحل ينابيع الحياة والعطاء والتضحية التي جعلت منه «كبيركم خادمكم»، فكان حبة القمح التي كبرت سنبلة مليئة بعطاءات المحبة والتضحية والوفاء والإخلاص. وكان صاحب الوزنات الثلاث الذي ضاعف شجاعتها ونتائجها المرة تلو الأخرى، فاستحق بركات الإله الواحد وشكر الإنسان الذي خلقه الله على صورته ومثاله.

ولد حبيب هزيم في «محردة» من نواحي حماه السورية في الرابع من نيسان (أبريل) ١٩٢٠. هو الابن البكر لعائلة كبيرة، تقية ومتواضعة، كما والده أسعد ووالدته مريم واخوته السبعة. تتلمذ في مدرسة والده، وفي حقول القرية وبيوتاتها الطاهرة. وعندما بلغ الرابعة عشرة، انتقل الى بيروت ليخطو درجته الأولى مبتدئاً تابعاً لمطرانية بيروت، ما يؤكد أن طموحه الكهنوتي تجلى باكراً جداً. وفي عام ١٩٣٧، التحق بالمعهد الدولي «IC»، القسم الفرنسي حيث أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٤٣. سبق ذلك تسييمه شماساً عام ١٩٤١ على اسم القديس اغناطيوس الأنطاكي الذي رافقه حتى آخر حياته. وفي عام ١٩٤٥، درس العلوم الفلسفية والتربوية في الجامعة الأميركية في بيروت، وتخرج باجازة «BA»، ما أهّله لتدريس مادة الرياضيات في مدرسة الثلاثة أقمار والإشراف عليها حتى العام ١٩٤٩، التحق بعدها بمعهد القديس جاورجيوس الأرثوذكسي في باريس حيث نال الإجازة في اللاهوت والفلسفة. بعد عودته الى بيروت عام ١٩٥٣ سيّم كاهناً، واضعاً وزناته الإلهية في خدمة التربية والتنشئة الإيمانية، فأسس كلية البشارة في بيروت وتسلّم ادارتها حتى عام ١٩٦٢، حين رفعه البطريرك تيودوسيوس الجبيلي الى رتبة أسقف وعيّنه وكيلاً بطريركياً وانتدبه في السنة نفسها لتولي رئاسة دير سيدة البلمند ومدرستها الإكليركية بناء على طلبه. وفي عام ١٩٦٥، انتخبه المجمع الأنطاكي المقدس مطراناً على أبرشية اللاذقية حيث أمضى سبع سنوات قبل انتخابه بطريركاً على انطاكية وسائر المشرق، وجرى تنصيبه في الكاتدرائية المريمية باسم اغناطيوس الرابع، فكان البطريرك الأرثوذكسي الـ ١٥٧ على كرسي انطاكيا، والى الكاتدرائية نفسها في دمشق عاد المثلث الرحمات بعد ٣٣ سنة للقاء ربه وسط دموع المؤمنين من مسيحيين ومسلمين، وفي ظروف

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"

الأفكار Pan Arab
Issue No.1583 December-17-2012

البطاركة والمطارنة يحيطون بالجثمان خلال الصلاة ويبدو الرئيس سليمان.

بعد نقله الى دمشق: جثمان البطريرك هزيم مسجى في الكاتدرائية المريمية.

في التأليف والترجمة

لم يتخلّ البطريرك الراحل عن لغته الأم كتابة صحيحة، مختصرة ومكثفة، ونطقاً بلهجة أبناء قريته المتميزة بحرف «القاف» البارز فيها، من خلال اطلالاته النادرة على الإعلام الذي كان يعتبره عالماً تبشيرياً واسعاً ان جرى استغلاله بالطريقة الصحيحة على مستويات التربية والتنشئة والتبشير. وهو الى ذلك يجيد العربية والإنكليزية واليونانية والروسية، ما جعله مبدعاً في الترجمة وله فيها «كنيسة المشرق العربي» للكاتب «جان كوربون»، و«القصد الإلهي» للكاتبة «سوزان دي ديتريخ». وفي التأليف باللغات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية والعربية: «التعليم القويم» (٣ أجزاء)، «القيامة والإنسان المعاصر»، «أومن»، «فتح كلامك ينير»، سلسلة «الله معنا» (٤ أجزاء)، «في المسألة اللبنانية والمصير المسيحي»، «Sauver la creation»، «Le Silence»، وله العديد من المقالات المنشورة في التاريخ واللاهوت.

الرئيسان سليمان وميقاتي يتقدمان المشاركين في الصلاة.

في مقابل هذه الكتابات التي جمعت بين الدين والإنسان والوطن والتاريخ، صدرت كتب توثيقية عن البطريرك اغناطيوس هزيم، تتناول حياته وانجازاته بأقلام لبنانية وعربية وغربية، ومن أهمها «بدء تاريخ في مدينة الله» (ادمون رزق)، «الصولجان بأيدي عشير الله» (سعيد عقل)، «البطريرك اغناطيوس الرابع رجل التفوقات» (أمين شديد)، «أما الزارع... فأنت» (كبريال باسيلا)، وعشرات المقالات في الصحافة اللبنانية والعربية.

شهادات ومواقف

أما وقد ارتحل بطريرك العرب ورجل التفوقات والزارع وعشير الله والصولجان، وسط طوفان الدموع والآمال بأمثاله، بعدما فجّر ينابيع من الحب والإيمان والمعرفة والتواضع والحضارة والوطنية، سيبقى البطريرك اغناطيوس هزيم عظيماً بين عظماء البطاركة المسيحيين وآباء الكنيسة الأرثوذكسية. وفي هذا المجال، يرى الوزير السابق ابراهيم نجار «أن ثقافة البطريرك المثلث الرحمات، أعدته لتبوؤ المسؤوليات الكبرى والتصدر بين المرجعيات. لكنته الخاصة لم تمنعه من تحصيل العلم والثقافة في نوع من التعددية المميزة. أصيل في ثقافته العربية، ومتعمق في الدراسات اللاهوتية بالفرنسية واليونانية، وجامعي متميز باللغة الإنكليزية».

يضيف نجار: «اللبنانيون كانوا يدركون أن هذا البطريرك العظيم كان الى جانب اللاهوت يعشق لبنان الذي بقي في قلبه وفي عروقه وفي عقله، كأنه الصخرة القوية التي ينظر اليها كل المسيحيين المشرقيين، ليس لأن لبنان هو وطن الثقافة واللغات والعلم والمعلومات والصحافة والطبابة والمال فحسب، بل لأنه أولاً وأخيراً، امبراطورية الحريات في هذا الشرق المعذب حيث تتضارب كل الضرورات، وحيث تستقر التناقضات، فنتجاوزها ونجعل منها قيمة حضارية نادرة».

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"

الأفكار Pan Arab
Issue No.1583 December-17-2012

البطريرك هزيم لدى تقليده نائب رئيس الوزراء السابق عصام فارس وشاح القديسين بطرس وبولس وتبدو هلا زوجة الرئيس فارس.

لم يدخل هزيم في لعبة الأنظمة... انصبّ همه على العيش الواحد بين الناس

ويتذكر نجار عدما عيّنه البطريرك هزيم ناظراً للصغار في مدرسة البشارة الأرثوذكسية، ثم التقاه مرة أخرى حين كان ممثلاً للطائفة الأرثوذكسية وحزب الكتائب في لجنة الإصلاح الدستوري المنبثقة من مؤتمري «لوزان» و«جنيف» عامي ١٩٨٤و١٩٨٥. يروي نجار: «سألته يومئذ: «بماذا توصيني يا صاحب الغبطة، فنحن مقبلون على صفقة تاريخية، ولا بد من اعادة النظر في الصلاحيات؟»، أجابني: «دعني أقل لك يا ابراهيم بكل وضوح نحن أقلية ومصيرنا في لبنان من مصير المسيحيين في كل لبنان، فلا تمييز. كن رجلاً حراً ولي بك كل الثقة...»، وانتهى الفقيد العظيم الى القول: «إن الضمير الأرثوذكسي، إن صحّ التعبير، عليه أن يكون منصباً على توحيد الكلمة، وعلى الارتقاء بالخطاب السياسي الى ما هو جامع وبنّاء».

ويروي الإعلامي ايلي صليبي، وكان شاهداً على ما حدث، حين التقى البطريرك هزيم رئيس مجلس ادارة المؤسسة اللبنانية للارسال الشيخ بيار الضاهر، بعدما تعرضت بكركي وبطريركها مار نصر الله بطرس صفير لتهديد مباشر من احدى الميليشيات المسيحية أثناء الحرب الأهلية اللبنانية. قال صليبي: «عاتب البطريرك هزيم الشيخ الضاهر على الكشف عن صورة تظهر سيد بكركي مكسوراً أمام الميليشيا المسلحة، وخاطبه بالقول: «الا تدرك يا شيخ بيار أن انكسار بكركي هو انكسار الشرق بكامله. هذه خطيئة لا تغتفر».

الإطلالة الأخيرة للبطريرك هزيم كانت قبل أربعين يوماً في نيويورك عندما قلّد نائب رئيس مجلس الوزراء السابق عصام فارس الوشاح الأكبر للقديسين بطرس وبولس، وهي المرة الأولى التي يمنح فيها لشخصية لبنانية. حدث ذلك بحضور متروبوليت نيويورك وكل أميركا الشمالية فيليب صليبا ويومئذ باح بهمومه: «أنا معكم وعقلي في مكان آخر. أنا بينكم وفكري مشغول على المسيحيين في بلاد الشرق. مسيرة «الربيع العربي» تقلقني أكثر مما تريحني. نحن مجبورون، مسيحيين ومسلمين، بعضنا بالبعض الآخر، وكذاب الذي يقول أنا مسيحي، ولا يساعد غيره. أيضاً كذاب الذي يقول أنا مسلم ويكره المسيحي. الله الذي نسميه أبانا خلقنا جميعاً أحراراً وبالتساوي. لا يمكنك أن تقول أبي الذي في السماوات وغيري عمره ما يكون. أنا أمنع على المسيحي أن يخاف المسلم، والمسلم كذلك، فكلنا مشرقيون، وان كنت من القائلين: كلهم ضيوف على المسيحيين في هذا المشرق العزيز».

يبقى أن المثلث الرحمات لم يدخل في لعبة الأنظمة، ولم يشارك في الحراك العربي القائم، وخصوصاً الحراك السوري. همه كان منصباً على العيش الواحد بين الناس. كان خوفه على الناس كبيراً ومثله كان قلقه على المصير مرضاً دقيقاً وخطيراً يفتك به وبصحته، وفي هذا المجال كتب أحدهم على «تويتر»: «حزن في الأرض وقد تركتها، وفرح في السماء وقد فتحت لك ذراعيها.. لا تقل واحداً وتسعين عاماً، بل قل واحداً وتسعين جيلاً من المحبة والمعرفة والتسامح».

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"